أسرار الرسومات التطريزية الفلسطينية.. يحكيها الفنان عبد الرحمن المزين

ارتقت المرأة الفلسطينية أو بالأحرى الفنانة الفلسطينية الشعبية التي امتهنت أو مارست التطريز الفلاحي كموهبة بثوب المرأة الفلسطينية المطرز إلى أقصى الحدود.

وكما حرصت هذه الفنانة على إبهار كل العيون التي رأت تناسق فنها وألوانها سواء في الملبس أو النتريات، سجلت في هذا الثوب رموز تحتاج لقواميس كي تفسر معانيها وأهدافها من وراء كل رسم وضعته على قماش الثوب، فالحقيقة التي لم يعلمها الكثير أن هذه الفنانة ما رسمت شيئا عبثا، حيث حرصت بالدرجة الأولي أن تكون معاني رموزها التطريزية سجل لأحداث الثورة الفلسطينية وتحريض على مقاومة المحتل الصهيوني، فرسمت رموزها في الحرب والسلم والحب والأمل والألم والرضا والتحريض على الجهاد .

(لها أون لاين) تعرض أسرار الرسومات التطريزية الفلسطينية بشهادة الأكاديمي والفنان عبد الرحمن المزين... تابع معنا:

يبدأ الأمين العام لاتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين د. عبد الرحمن المزين حديثه معنا بعرض أبحاثه العلمية التي تؤكد بالتأكيد على أن المرأة الفلسطينية التي عشقت التطريز أضافت له الكثير وباستمرار، ويستكمل المزين وهو الحريص على البوح بأصالة الزي الشعبي الفلسطيني وتاريخه المجيد فيوضح أن هناك مراحل عدة مر بها الثوب الفلسطيني وكل مرحلة أضافت جديداً للثوب، وكانت معبرة تماماً عن المرحلة التاريخية التي تمر بها البلاد، ففي المرحلة الأولى التي امتدت من 1948-1963 انشغلت المرأة بل الفنانة الفلسطينية كما يحلو للمزين أن يلقبها في إضافة كل ما هو جديد للثوب الفلسطيني من وحدات هندسية وأشكال زخرفية كل ما تدل عليه هو حال الأرض حينها، فراحت تنسج خيوطها الحريرية لتكون أشكالاً وعروقاً زينت الثوب بألوانها المتناغمة المنسجمة فأضافت عرق (السلحليك) و (الفشك)، بالإضافة إلى وحدات زخرفية رمزية تجريدية، تمثل الثائر الفلسطيني ومقاومته في تلك الفترة، فأبدعت المرأة الفلسطينية عرق (الطير أو الحمام)الذي رمز إلى الرسائل التي كانت تصل إلى القيادات الثورية في الجبل.

ويضيف أيضاً نسجوا بخيوطهم عرق قاع الفنجان الذي دل وقتها على قنابل الميلز اليدوية التي كان يستخدمها الثوار الفلسطينيين في مقاومته ضد الاحتلال الصهيوني، ويستطرد المزين كما أبدعوا عرق حيفا ويافا الذي دل وقتها على الطريق التي كان يسلكها المقاومين الذين يرقبون اليهود المهاجرين إلى فلسطين بالإضافة إلى رمزها إلى طريق السكة الحديد التي يمول من خلال

البريطانيين بالأسلحة والعتاد العسكرية، ناهيك عن عرق الجبل الذي يرمز إلى معقل الثوار الذين يهاجمون الغاصبين الآتين من كافة بقاع العالم إلى أرضهم فلسطين، وكذلك أضافوا عرق الملتين الذي يرمز إلى نوع منعين من الأسلحة المستخدمة في المقاومة وعق الحصان الدال على الأصالة الفلسطينية والتاريخ العريق..

عرق الملس

وهنا كان لا بد من التوقف قليلاً عند هذه الإضافة النوعية للثوب الفلسطيني، حيث يكشف د. المزين أن المرأة المقدسية هي من أضافت هذا العرق إلى الثوب الفلسطيني، ويلفت انتباهنا إلى أن الشرط كان على من تلبس أو تنسج هذا العرق على الثوب أن يكون أحد أقربائها من الثوار.

كانت المسألة مدعى لاستفسارنا ما انطوى عليه سرد حكاية هذا العرق الذي اعتبر أقوي موجه سياسي في ثورة 36 حسب المزين، الذي راح يروي لنا الحكاية قائلاً :"لقد أبدعت المرأة المقدسية وحدة زخرفية أطلق عليها "الملس" وكان تطريز هذا العرق حكراً على النساء اللائي أحد أقربائهم ثوار، الأمر الذي جعله أقوى موجه ومحرض سياسي في تلك الفترة، مشيراً إلى أن النسوة كانوا يحرضون أزواجهم وأبناء عائلاتهم إلى الخروج مع الثوار والمقاتلين الفلسطينيين كي يتفاخروا فيما بينهم ويبدءوا بنسج هذا العرق، كانت الأم تحرض ابنها والزوجة توعز لزوجها والشقيقة لشقيقها، والخطيبة لخطيبها على أن يلتحق بالثورة، مما جعل وحدة الملس وحدة تحريضية أكثر من كونها إضافة جديدة إلى الثوب الفلسطيني المقدسي، موضحاً الوحدات التي سبقتها كانت تسجيل وتوثيق لوجود ثورة في الأراضي الفلسطينية أما هذه الوحدة فقد مثلت وحدة تحريضية نضالية، امتازت صاحبتها بأنها مبدعة ومناضلة وموجهة سياسية محترفة..

النكبة وما تلاها

في المرحلة الأولى لتاريخ التطريز حافظت الفنانة الفلسطينية على وضع إضافات لرسوم تطريزية تحمل معاني ودلالات هامة عن القضية الفلسطينية،أما المرحلة الثانية والممتدة من 1948-1965 فحسب المزين لم يشهد الثوب أية إضافة في الوحدات المطرزة، فقط انصب جهد المرأة الفلسطينية في هذه المرحلة على الحفاظ على التراث قدر المستطاع في ظل عمليات النهب والتدمير والشراء التي اتبعتها قوات الاحتلال الإسرائيلي طمعاً في الاستيلاء على الأرض والتاريخ والتراث والحضارة ونسبها لها دون أي وجه حق.

ويضيف أما في المرحلة الثالثة والتي تمثلت في الفترة ما بين 1967-1994 بدأ الإضافات تموت وتندثر أسأله عن السبب فيجيب بحرقة السبب الأول كان الاحتلال الذي نهب التراث الفلسطيني الذي ظللنا محافظين عليه في متحف القدس الوحيد وكان ذلك في بداية عام 67 فضاع

الفن التطبيق الوحيد الذي يبرهن على الهوية الفلسطينية، يصمت قليلاً وقد بدا التأثر واضحاً على ملامح وجهه ثم يتابع :"ثاني تلك الأسباب كمنت في زيادة نسبة التعليم في الأراضي الفلسطينية حيث انصرفت النسوة إلى التعليم وأهملت العمل بالتطريز لدرجة أن بعضهن بالغوا بالنظر إليه على أنه تخلف يجب التخلص من تبعاته ومواكبة العلم، لم يشعروا أنهم بذلك حققوا أمنية الصهاينة في قتل التراث الفلسطيني "، ويستطرد :"ألا يحق أن نتهمهم بقتل التراث الفلسطيني نتيجة جهلهم بأنه الهوية وجواز السفر الفلسطيني في كل البلاد العربية، ويتابع معظم دول العالم العربي بقيت متمسكة بالتراث الأصيل الخاص بها فهذه المغرب ودول الخليج جمعها وكذلك إيران والهند نرى النسوة في المؤتمرات الدولية يلبسون الزي التقليدي لدولته ومدنهم التي نبتوا فيها أما نحن يتحدث ساخراً نذهب إليها بملابس أوروبية دخيلة بل لقيطة..

وراح ينتقد الأزياء التي ترتديها المرأة الفلسطينية المعاصرة قائلاً، بأنها أزياء متخلفة لا تمت للتاريخ ولا الهوية الفلسطينية بصلة، هي بكل ما تحمله الكلمة من معنى لقيطة، مستنكراً جهل المرأة الفلسطينية المعاصرة التي دفنت تراثها غالباً وفي أحيان أخرى أبقته تحفة أثرية تذكرها فقط بأعزاء يغلوا على قلبها، ويضيف كنا ولازلنا أفضل مروجين لبضائع الأمريكان فبدلاً من أن نلبس فتياتنا الزي الفلسطيني العريق في المدارس والجامعات ألبسناهم الزي الأمريكي الجينز والزي الإيراني والتركي الجلباب الذي يخلو من أي وحدة جمالية في حين يزخر بها الثوب الفلسطيني، منادياً بضرورة العودة للماضي لإثبات الهوية الفلسطينية من خلال إقرار قانون يقضي بارتداء الفتيات الفلسطينيات وكذلك الشباب الزي الفلسطيني الذي ضيعناه وأهديناه بإرادتنا للغاصبين الذي استغلوه هم في إثبات أحقيتهم وهويتهم فراحوا يفرضوه زياً رسمياً لمضيفات الطيران الصهاينة يشهده العالم أجمع.